رحمة النبي ﷺ
بذوي الاحتياجات الخاصة

إعداد:
د. منيرة بنت مدعث القحطاني
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه ليوم الدين.

لقد كان رسول الله ﷺ مثلًا أعلى للإنسانية الكاملة، وكانت شخصيته الخُلُقية شخصية كاملة سامية متعددة النواحي، وقد اجتمعت فيه محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، ما لم يجتمع لغيره من الناس؛ سواء في شبابه، أو في رجولته؛ سواء قبل بعثته، أو بعدها، وقد أجمع المتقدمون والمتأخرون من الرواة، والمؤرخين في الشرق والغرب على أنه مثال حي للرحمة المهداة إلى البشرية جمعاء.

وفي رحمته ﷺ مع ذوي الاحتياجات الخاصة ضرب ﷺ أروع المثل على الرحمة والتفضل، ومراعاة أعلى آدابها الإنسانية؛ حيث حفلت السيرة النبوية بالمواقف الكثيرة لذوي الاحتياجات الخاصة، وهو ما سوف نتناوله من خلال هذا البحث.

مشكلة البحث:

إبراز حسن تعامل الدين الإسلامي مع ذوي الاحتياجات الخاصة، ودمجهم مع جميع فئات المجتمع في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وإظهار حسن تعامل الرسول ﷺ

معهم، والاقتداء بسنته في ذلك، وإبراز دور الإسلام في حسن تعامله مع هذه الفئة، والرحمة والرأفة بهم، وعدّهم من أبرز أفراد المجتمع.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

١. إبراز رحمة النبي ﷺ في تعامله مع ذوي الاحتياجات الخاصة؛ حيث قرر الرعاية الكاملة لهم، والعمل على قضاء حوائجهم، مع التمتع بكافة الحقوق، وأن قضاء حوائجهم مقدم على قضاء حوائج الأصحاء.

٢. التأكيد على أن الرحمة معهم غايتها السامية المساواة بين البشر، دون تمييز؛ فهو يساوي بين الجميع، ولا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى؛ فكان نهر الرحمة، وينبوع الحنان.

٣. تتبع رعاية النبي ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة وصورها، من زيارة، ودعاء، وتكريم، ومواساة، وتأهيل نفسي، وعلاج، وتعليم...إلخ.

٤. كيفية وضع الرسول ﷺ أسس التعامل الكامل معهم، إنسانيًا، ونفسيًا، وتحريم السخرية منهم، ورفع الحرج عنهم، والاقتداء بسنته ﷺ في ذلك.

٥. بيان مدى ما غرسته رحمته ﷺ في أتباعه من حب التكافل الاجتماعي والتراحم فيما بينهم، وتنفيذه كواقع عملي ملموس في حياة المسلم.

المنهج المتبع:

سوف أتبع المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي حسب ما تقتضيه حاجة البحث.

خطة البحث:

يتناول التمهيد تعريف ذوي الاحتياجات الخاصة من واقع المصادر والمراجع المعتمدة، كذلك نتناول وضعهم ومعاملاتهم في المجتمعات السابقة قبل ظهور الإسلام، ويتحدث أيضًا عن رعاية النبي ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة بكل صورها، وسوف أتبع في البحث رعاية الرسول ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة، وكيف وضع أسس التعامل الكامل معهم، إنسانيًا، ونفسيًا، وتحريم السخرية منهم، ورفع الحرج عنهم، وبيان مدى ما غرسته رحمته في أتباعه في حب التكافل الاجتماعي، والتراحم فيما بينهم، وأعطي ذوي الاحتياجات الخاصة الثقة في أنفسهم، كي يستطيعوا أن يتعايشوا في المجتمع.

وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل، وأن يكون محققًا لبعض أهداف ومحاور المؤتمر الخيرة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

التمهيد

لقد اهتم الإسلام بكل فئات المجتمع اهتمامًا كبيرًا، وحرص النبي ﷺ والمسلمون على الرعاية الكاملة للضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة، وعليه جاءت الآيات الكريمة في كتاب الله تعالى؛ لتؤكد أن الله تعالى يحث على نصرة الضعيف وإعانته قدر المستطاع، والمتأمل في آيات الله تعالى يجد نفسه أمام آيات كثيرة توحي بهذا المعنى؛ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة:٩١]. نستنتج من الآية أنه ليس على المرضى والضعفاء أية مشقة إذا لم يقاتلوا مع إخوانهم الأصحاء، وقد تكرر في القرآن الكريم لفظ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١] والآية ١٧ من سورة الحج وهكذا نرى أن مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة لم يخرج عن كونهم أشخاص ابتلاهم الله تعالى بما أفقدهم شيئًا من قدراتهم أو حواسهم فأصبحوا معوقين عن الحركة، أو العمل، أو الكسب، أو العطاء كغيرهم من الناس، ومن ثم احتاجوا مزيدًا من العناية والرعاية، وبمعنى آخر هم الأشخاص الذين لا يستطيعون تأمين حاجاتهم الأساسية بشكل كامل، أو جزئي، نتيجة لعاهة خلقية، تؤثر في أهليتهم الجسمية أو العقلية[1].

(١) تعريف الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٩٧٥م، ص٧. كما عرفه المؤتمر العربي الأول للتربية الخاصة ١٩٩٥م بأنه: «الفرد الذي يحتاج طوال حياته أو خلال مدة من حياته إلى مواصفات خاصة كي ينمو أو يتعلم أو يتدرب أو يتوافق مع متطلبات حياته اليومية أو الأسرية أو الوظيفية أو المهنية» ص٨.

وكذلك هم أقل قدرة من غيرهم نتيجة لما يُعانون من إصابات مرجعها عوامل وراثية، أو خلقية، أو بيئية مكتسبة (حادث، إصابة... إلخ)[١]؛ مما يتسبب عنها قصور وظيفي جسمي، أو عقلي، ويترتب عن القصور آثار صحية، أو اجتماعية، أو نفسية[٢]. وقد عرف الإنسان الإعاقة منذ أقدم العصور وكان المجتمع قبل الإسلام يُعد ذوي الاحتياجات الخاصة عبئًا ثقيلًا عليه، ولهذا كان يتخلص منهم بأشكال متنوعة، كما أنهم كانوا يلقون أنواعًا مختلفة من إساءة المعاملة، والرفض، وكانت نظرة الناس إلى المرضى، وأصحاب الاحتياجات الخاصة نظرة احتقار وازدراء، لاعتقادهم أنه ليس لوجودهم فائدة تذكر، يضاف إلى هذا الخوف المنتشر من مخالطة المرضى خوف العدوى، وكان المجتمع الجاهلي، يقاطع ذوي الاحتياجات الخاصة، ويعزلهم، ويمنعهم من ممارسة حياتهم الطبيعية، كحقهم في الزواج، والاختلاط بالناس[٣].

وكانت الجزيرة العربية تضم قبائل متناثرة ومتناحرة من بدو رحل يتنقلون طلبًا للماء والكلأ، باستثناء مجتمع اليمن ومكة، وكانت طبيعة الحياة وقسوتها لا ترحم فقيرًا، ولا معاقًا في مجتمع القبائل المتنقلة، حيث تترك القبيلة معاقها ومريضها خلفها في المنازل، ولا تنقله معها؛ لأنه لا أحد يقدر على تقديم الرعاية له[٤].

أما مجتمع مكة الجاهلي فكان شبيه بحضارة مصر الفرعونية، حيث يسيطر عليها الطبقية، أشراف وعبيد[٥]، وكانوا يتخلصون من البنات

(١) مجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، الدليل الموحد لمصطلحات الإعاقة والتربية الخاصة والتأهيل، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٧.
(٢) عبدالمطلب القريطي، سيكلوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم (مكتبة الأنجلو المصرية ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) ص٨.
(٣) محمود عبدالرازق شفشق، تاريخ التربية، دراسة ثقافية اجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص٥٠.
(٤) سيد الناصري، الحرب والمجتمع القديم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ص٦.
(٥) عبدالرحمن زكي، الحرب عند العرب (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م)، ص ٨.

السويات، والمعاقات والمشوهات عن طريق وأدهن، أما الأولاد المعاقون والمكفوفون فكانوا موضع سخرية عند القوم[١].

وتتحدد الرعاية الاجتماعية في الجاهلية في مواقف فردية مؤقتة مبنية على أعراف وعادات في الرجولة، والحلم، والعفو عند المقدرة، وإغاثة الملهوف، ونصرة العصبية[٢].

وهكذا تتمثل مظاهر الرعاية الاجتماعية قبل ظهور الأديان السماوية في التخلص من الضعفاء، والمعاقين، والمشوهين عن طريق عزلهم عن المجتمع، وقتلهم، وتكبيلهم بالسلاسل، والسخرية منهم، ووأد البنات[٣].

واشتدت حاجة الإنسانية إلى من يخرجها مما تعاني منه من جهل مظلم؛ فعندما ظهر الإسلام ونادى بعدم التفرقة بين البشر، وإقامة المساواة، كما أكد على وجوب النظر إلى الإنسان على أساس عمله، وقلبه، وليس على أساس شكله، أو مظهره، وطلب كف الأذى المعنوي المتمثل في النظرة، والكلمة، والإشارة وغيرها من وسائل التحقير والاستهزاء[٤].

وينظر الإسلام إلى ذوي الاحتياجات الخاصة نظرة إيجابية، حيث يساويهم بغيرهم، ولم يهمل المجتمع الإسلامي أمر علاج الإعاقات التي كان لها علاج معروف في ذلك الوقت[٥]، وأعطاهم حقوقهم كاملة في إنسانية آخذة، ورفق جميل، مما أبعد عنهم شبح الخجل، وظلال المسكنة، بل إن الإسلام لم يقصر نداءه الإنساني عليهم فقط، بل امتد

(١) محمد عبدالهادي عفيفي، في أصول التربية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ص٦٣.
(٢) حسين قاسم عبدالعزيز، موجز تاريخ العرب والإسلام (مكتبة النهضة، بغداد ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص١١.
(٣) أنور محمود زناتي، الطريق إلى صدام الحضارات، مرجع سابق، ص١٦.
(٤) أنور الجندي، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص١٠٢.
(٥) رمضان محمد القذافي، سيكلوجية الإعاقة (الجامعة المفتوحة، الجمهورية العربية الليبية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص ص١٣-٢٠.

النطاق فشمل المرضى عامة، واستطاع المريض -أيًا كان مرضه- أن يستظل براية الإسلام التي تحمل في طياتها الرأفة والرحمة والخير، وأن يتنسم عبير الحياة، في عزة وكرامة، كما أن الإسلام لم يقصر هذا النداء على مناسبة خاصة بهم؛ لأن القواعد التي أرساها الإسلام سارية المفعول منذ أن جاء بها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[1].

واتخذ الفكر الاجتماعي الإسلامي موقفًا إيجابيًا من حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، فنادى بالمساواة بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، والمفهوم الإسلامي للمساواة يقوم على أن تحكم العلاقة بين الناس قواعد سابقة على نشأة هذه العلاقة، تتمثل في الشريعة كوضع إلهي، دون إنكار تفاوت الناس في الإمكانات والمقدرات الذاتية، وبناءً على هذا؛ فقد أقر الفكر الاجتماعي الإسلامي التمييز الإيجابي لذوي الاحتياجات الخاصة دون تناقض مع المفهوم الإسلامي للمساواة[2].

نظرة الإسلام ورعايته لذوي الاحتياجات الخاصة نظرة خاصة، بداية من تخفيفه عليهم في بعض الالتزامات الشرعية؛ لقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١]، وانتهاءً ببث الأمل في نفوسهم، ومراعاة حقوقهم الجسمانية والنفسية، وتأكيد لهذا الموقف الإيجابي فقد نقل القرآن عتاب الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ في قصة عبدالله ابن أم مكتوم (ت ١٤هـ/ ٦٣٥م): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا

(١) مجموعة من أعضاء هيئة التدريس، كلية التربية، جامعة عين شمس، الرعاية التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة (القاهرة ٢٠١٥م) ص٤٣.

(٢) سعيد إسماعيل علي، اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي (دار الفكر العربي، عين شمس، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص١٤؛ محمد وجيه الصاوي، دراسات في الفكر التربوي (مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ص١٩.

﴿يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ [عبس: ١-٦]؛ فهذه الآيات تقرر أن معيار التقييم هو الإيمان والعمل الصالح، وأن الإعاقة التي لا يمكن تجاوزها هي الإعاقة الروحية والخلقية، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وقد وضع الإسلام قواعد أصيلة لتوفير الحياة الطيبة للإنسان من حيث هو إنسان[1] ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، ومن ثم يتجلى مدى رعايته الخاصة لبعض الفئات من حيث توفير مزيد من الحقوق، والإعفاء من بعض الواجبات، ليحصل التوازن والتكافؤ بين معطيات كل إنسان وقدراته، فيعيش المجتمع حياة كريمة، سواء في ذلك من هو معافى ذو مرة سوي، ومن هو معاق ذو ضعف طارئ أو أصلي.

وتقضي الشريعة الإسلامية بمنح الحقوق الأساسية للإنسان من حيث هو إنسان، فحرية نفس الإنسان مصونة، وضروريات العيش لابد من توفيرها لكل محتاج.

كما أكد الإسلام على تجنيب الإساءة لذوي الاحتياجات الخاصة، وإلصاق الألقاب بهم، كالقول هذا أعمى، وهذا أعرج، وهذا مجنون، ونهى عن تبادل هذه الألقاب السيئة التي تجرح المشاعر، وتؤدي للظلم، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

كما رفع الإسلام عنهم الحرج، قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النور: ٦١].

(١) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، ص١٢٧؛ صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، مؤسسة دار الكتب (الموصل ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ص٢٦.

وسبق الفقه الإسلامي القوانين الوضعية في الاعتناء بذوي الاحتياجات الخاصة؛ حيث قرر الإسلام مبدأ المساواة الإنسانية مسقطًا بذلك كل الفروق، وأن ليس ثمة تفضيل في إنسانيتهم، وإنما التفضيل يكون على أساس كفايتهم، وأعمالهم، وما يقدمه كل فرد من أفراد المجتمع لوطنه ولدينه[1].

وقد حمل الإسلام الحنيف جملة مظاهر الاعتناء بذوي الاحتياجات الخاصة من أهمها: تكريم الله تعالى لهم، مواساتهم، تحريم السخرية منهم، مراعاة أحوالهم في التكاليف الشرعية، تقديم تلبية احتياجاتهم على احتياجات غيرهم. وقدم الرعاية اللازمة لفئة ذوي الاحتياجات الخاصة، وسهل لهم الاندماج في المجتمع؛ مما يؤهلهم للانطلاق نحو الإسهام في بناء المجتمع، وتقدمه، وازدهاره، وسيكون منهم العلماء والمفكرون[2].

ولنا أن نقول: إنه في ظل الإسلام وصل ذوو الاحتياجات الخاصة إلى أعلى المراتب؛ فكان منهم العلماء والمحدثون، مثل: ابن عباس، وعاصم الأحول، وعمرو بن أخطب الأعرج، وعبدالرحمن الأصم، وغيرهم.

كل هؤلاء العظماء من ذوي الاحتياجات الخاصة، وغيرهم كثير، كان لهم دور محمود في الدولة الإسلامية، ولا عجب في ذلك وهم قد خرجوا من تحت عباءة الشخصية المحمدية ذات الخلق الرفيع.

(١) سعود بن عبدالعزيز العوضي، حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة في الفقه الإسلامي (أطروحة ماجستير، جامعة طنطا، كلية الحقوق، قسم الشريعة الإسلامية ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م) ص١٨.

(٢) هاشم فارس عبدون، رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بين الشريعة والقانون وأثر ذلك في الجانب التربوي (مجلة العلوم التربوية، مصر ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) مج١، ص٧٤.

رعاية الرسول ﷺ
لذوي الاحتياجات الخاصة بكل صورها

لقد حفلت السيرة النبوية بالعديد من المواقف التي تخص ذوي الاحتياجات الخاصة، وأظهرت عظمة الرسول ﷺ، ونصرته لهم، والوقوف بجوارهم، وإكرامهم، ومواساتهم، والدعاء لهم، ونهى عن السخرية منهم، ورفع الحرج والعزلة عنهم، وبث الثقة في نفوسهم، كما شجعهم على خوض غمار الحياة بنفس راضية، وأوصى برعايتهم اجتماعيًا ونفسيًا وتربويًا، وعمل على كفالتهم، وتأهيلهم، ودمجهم في الحياة الاجتماعية.

كان لموقف الرسول ﷺ مع حادثة ابن أم مكتوم أثر عظيم فيما يخص التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة؛ فهو رجل أعمى جاء إليه ﷺ وكان عنده أكابر القوم يدعوهم إلى الإسلام فأعرض عنه؛ فنزلت في حقه آيات عتاب للنبي ﷺ لتثبت للجميع أن ذوي الاحتياجات الخاصة هم جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع، وأن العناية بهم وتقديم الخدمات المتميزة لهم، هي مبدأ من مبادئ الإسلام الخالدة، كما في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ [عبس: ١-٦].

ومن ذلك التاريخ وتقدير واحترام ذوي الاحتياجات الخاصة توجه

إسلامي، وقيمة دينية كبرى، حظي في ظلالها هؤلاء بكل مساندة ودعم وتقدير، حتى وصل بعضهم إلى درجات كبيرة من العلم والمجد والنبوغ.

وفي هذه القصة دلالة شرعية على تقديم حاجات ذوي الاحتياجات الخاصة على حاجات من سواهم، وفيما يروى أن النبي ﷺ كان بعد هذه الحادثة يبسط رداءه لابن أم مكتوم ويقول له مداعبًا: «أهلًا بمن عاتبني فيه ربي»[1]، وأصبح بذلك من خيرة الصحابة، شارك في الحكم زمن النبي ﷺ، وجعله مؤذنًا له مع بلال بن رباح؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن ابن أم مكتوم كان مؤذنًا لرسول الله ﷺ وهو أعمى»[2].

وقد أولى الرسول ﷺ عنايته بذوي الاحتياجات الخاصة من جميع الجوانب:

الجانب الإنساني:

من التعاليم السامية التي تركها لنا رسول البشرية محمد ﷺ وجوب عدم تجاهل ذوي الاحتياجات الخاصة، ومنهم المكفوفين، حتى ولو لم يكن يشعروا بوجودنا، يقول ﷺ: «ترك السلام على الضرير خيانة»[3]، ومفهوم هذا الحديث لا يقتصر على السلام فحسب؛ وإنما هو ضرب مثلًا لخطورة إهمال المبصر حق الكفيف، فعدم إرشادنا له خيانة، وعدم السؤال عنه خيانة، وعدم معاونته فيما يحتاج إليه خيانة.

كما حذر الرسول الكريم ﷺ أشد التحذير من تضليل الكفيف عن طريقه، أو إيذائه، عبسًا، أو سخريةً، فقال ﷺ: «ملعون من كمه أعمى عن

(١) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي (دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ج١٩، ص١٨٤.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب جواز أذان الأعمى إذا كان معه بصير، ٢٨٧/١ برقم (٣٨١).

(٣) أخرجه السيوطي في جامع الأحداث ٢٥٢/١١ برقم ١٠٧٠٧، قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، ج٧، ص٤٠٩، برقم ٣٣٩٩، ضعيف.

طريق»[1]؛ ومن المؤكد أن مضمون تلك الأحاديث الشريفة تنطبق على ذوي الاحتياجات الخاصة كافة، وليس على المكفوفين فقط، وهذا يُعد قمة التعامل الراقي مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وحفظ كرامتهم، والنهي التام عن اتخاذ العيوب الخلقية سببًا للتندر، أو التلهي، أو السخرية، أو التقليل من شأن أصحابها.

كما حث الرسول ﷺ على رفع الحرج عنهم لأن ذلك يشعر ذوي الاحتياجات الخاصة بمسحة من حزن واسى لعدم تمكنهم من أداء جميع التكاليف والواجبات.

ومن رحمته ﷺ أنه رفع الحرج عنهم، مثلما حدث مع عمرو بن الجموح رضي الله عنه[2]، رغم كونه من ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد كان رجلًا أعرج، شديد العرج؛ إلا أن ذلك لم يكن مانعًا له من وصوله إلى أعلى درجات التكريم؛ لهمته العالية، وبذله الواسع في سبيل الله، وكان له بنون أربعة يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد (٣هـ/ ٦٢٤م)، أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له ﷺ ليرفع الحرج عنه: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» ثم قال لبنيه: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله يرزقه شهادة» فخرج مع الجيش فقتل يوم أحد[3]، فقال ﷺ: «والذي نفسي

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، برقم (١٧٧٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٨٩١).

(٢) صحابي كان في الجاهلية من سادات بني سلمة وأشرافهم، وواحدًا من زعماء المدينة، وهو آخر الأنصار إسلامًا، وهو صهر عبدالله ابن حرام، إذ كان زوجًا لأخته هند بنت عمرو، توفي سنة ٣هـ، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢) ص٢٦٥.

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة» ١٥٦/١٤، وصححه الألباني في فقه السيرة ص ٢٦٠، وابن هشام، محمد بن عبدالملك، السيرة النبوية (تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ج٢، ص٩٠.

بيده! إن منكم من لو أقسم على الله لأبره، منهم: عمرو بن الجموح، ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته»[1].

إن الرحمة هنا متعددة ومتداخلة، إنه في البداية رحيم به فلا يريد المشقة له لعرجه، فيعفيه من أمر الجهاد ويرحمه بالمنع، وهو في الوقت ذاته رحيم بعائلته أن تُفجع فيه بموته، وخاصة أن أربعة من أبنائه قد خرجوا للجهاد، فليبق هو لرعاية مصالح بيتهم، ثم عندما وجد اشتياقه للجهاد رحم شوقه هذا ورغبته، وقدَّر موقفه، وأحس بمشاعره، فقبل منه، بل وتوسط عند أبنائه، وهوَّن عليهم، ولما استشهد عمرو بن الجموح بشرهم ﷺ بمصيره لئلا يجزع أبناؤه، ولكيلا يندموا على خروجه، إنها رحمات متتالية متتابعة مع أن الأمر مختص بجهاد وقتال.

وقد كان النبي ﷺ يقول عن عمرو بن الجموح، تكريمًا وتشريفًا له: «سيدكم الأبيض الجعد عمرو ابن الجموح»[2]، وقد قال له النبي ﷺ ذات يوم: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة»[3].

مما سبق من واقعة عمرو بن الجموح نجد أنه صلوات الله وسلامه عليه رفع عنهم فريضة الجهاد في ساحة القتال، يرفض أن يخرج معه ضعيف إلى القتال رحمة به، مع أن المسلمين كثيرًا ما كانوا قلة، ويحتاجون إلى

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» ٤٩٣/١٥، برقم ٧٠٢٤، وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ١٣٦/١٠ برقم ٦٩٨٥ (حديث حسن)، وابن سيد الناس، محمد بن يعمري، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (تعليق إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ج١، ص٤٢٣؛ محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ج٤، ص٢١٤.

(٢) ذكره الطحاوي في «مشكل الآثار» ٢١١/١٢، لأبي جعفر (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، (تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٤٧/٣٧ برقم ٢٢٥٥٣ بتحقيق شعيب الأرناؤوط، وقال الهيثمي في «المجتمع» ٣١٥/٩ رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ بن حجر في «الفتح» ٢١٦/٣ إسناده حسن، أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد، معرفة الصحابة (دار الوطن للنشر، الرياض ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ج٤، ص ١٩٨٤.

كل عون، لكنه كان رحيمًا بضعفاء أمته، ولا يقبل أن يشُق عليهم حتى لو رغبوا هم في ذلك، فلم يكلفهم حمل سلاح أو الخروج إلى نفير في سبيل الله، إلا إن كان تطوعًا؛ ورأى منهم رسول الله ﷺ بعض القدرة على القتال. بيد أن هذا التخفيف الذي يتمتع به ذوي الاحتياجات الخاصة في الشرع الإسلامي، يتسم بالتوازن والاعتدال، فخفف عن كل صاحب إعاقة قدر إعاقته، وكلفه قدر استطاعته، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وفي رواية: حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق»(١).

وقد بلغ من عناية الرسول ﷺ بهم أن نهى عن السخرية منهم والتقليل من شأنهم تقديرًا واحترامًا لهم، وتعظيمًا لشأنهم ومكانتهم في المجتمع، فحينما ضحك بعض المسلمين من ساقي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه النحيلتين يوم صعد نخلة رد عليهم الرسول الكريم ﷺ: "تضحكون من ساقي ابن مسعود! لهُما أثقل في الميزان عند الله من جبل أحد»(٢).

وفي رواية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت ٤٠هـ/ ٦٦١م) قال: أمر النبي ﷺ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن يصعد شجرة فيأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبدالله فضحكوا من حموشة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «ما تضحكون؟ لرجل عبدالله أثقل في الميزان من أحد»(٣).

لقد نهى النبي ﷺ نهيًا تامًا عن السخرية من ذوي الاحتياجات

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا ١٤١/٤ برقم ٤٤٠٣، وابن ماجه في «سننه» كتاب الطلاق باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، ٦٥٨/١ برقم ٢٠٤١، وصححه الألباني في الإرواء، ٤/٢.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٩٨/٧، والحاكم في «مستدركه» ٣٥٨/٣ برقم ٥٣٨٥، والطبراني في «المعجم الكبير» ٧٨/٩ برقم ٨٤٥٢، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٨٩/٩: (رجاله رجال الصحيح)، وقال الألباني في «إرواء الغليل» ١٠٤/١ (سنده حسن).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٤٢/٢، والبخاري في الأدب المفرد ٩٢/١ برقم ٢٣٧، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٨٨/٩: (رجاله رجال الصحيح)، وقال الألباني في «إرواء الغليل» ١٠٤/١ (سنده حسن).

الخاصة، واعتبار ما يعانون منه عيبًا أو سببًا للتقليل من شأنهم، وحث ﷺ على احترامهم وإعطائهم كامل حقوقهم الإنسانية، ومساواتهم بأقرانهم؛ ليحيوا حياة كريمة فلا يفضل عليهم أحد مهما كان مركزه الاجتماعي.

ولم يقتصر تعامله ﷺ على ذلك إنما نهى عن الشماتة فيهم، فقال ﷺ: «لا تظهر الشماتة في أخيك فيعافيه الله ويبتليك»[1].

فكان رسول الله ﷺ بتلك المعاملة أسوة حسنة للمسلمين في تعامله مع ذوي الاحتياجات الخاصة؛ لذلك قال عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت ٣٥هـ/ ٦٥٦م): «إنا والله قد صَحِبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير"[2].

من ذلك ما يروي أنس بن مالك أنه مر رجل برسول الله ﷺ فقال رجل من الحاضرين: «يا رسول الله، هذا مجنون، فأقبل النبي ﷺ على هذا الرجل فقال: «أقلت مجنون؟ إنما المجنون المقيم على المعصية ولكن هذا مصاب»[3].

وهذا يدل دلالة قاطعة على حسن تعامل الرسول ﷺ مع هذه الفئة من المجتمع، وحثه لنا على الاقتداء به في التعامل معهم. وقد وضح تعامله ﷺ مع ذوي الاحتياجات الخاصة بالرفق بهم وتلبية رغباتهم فقد كان ﷺ يعود المرضى، ويدعو لهم، ويطيب خاطرهم، ويبث في نفوسهم الثقة، ويدخل على قلوبهم الفرح، يذهب إلى أحدهم في أطراف المدينة

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم (٢٥٠٦)، وقال «حديث حسن غريب»، والطبراني في «المعجم الكبير» ٥٣/٢٢.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٨٠/١ برقم ٥٠٤، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٢٨/٧ (رجاله رجال الصحيح).

(٣) أخرجه أبو إسحاق الشافعي في «الغيلانيات» ٣٧٦/١ برقم ٤٠٠، وذكره السيوطي في «جامع الأحاديث» ٢٢٢/٢٣ برقم ٣٦١٥٣.

خصيصًا ليقضي له حاجة بسيطة، أو ليصلي في بيت أحدهم ركعات تلبية لرغبته، ومن ذلك موقفه ﷺ من عتبان بن مالك وهو رجل كفيف من الأنصار، كان يقول للرسول ﷺ: "إنها تكون الظلمة والسيل وأنا رجل ضرير البصر، وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم؛ لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى. فرد عليه نبي الرحمة قائلًا: "سأفعل إن شاء الله»، قال عتبان فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه حين ارتفع النهار فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: "أين تُحب أن أصلي من بيتك؟» فأشرت له إلى ناحية من البيت فقال رسول الله ﷺ فكبر فقمنا فصفنا فصلى ركعتين ثم سلم[1].

وقد بلغ من اهتمام الرسول بذوي الاحتياجات الخاصة والحرص عليهم: أن خصهم بالدعاء لهم بالصلاح والتقوى والعفو والعافية، كما طلب من المسلمين الدعاء لهم بالشفاء، فعن عطاء بن أبي رباح قال لي ابن عباس: «ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء[2]، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع اليه لي، فقال ﷺ: "إن صبرت فلك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يُعافيك» قالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها»[3].

كما جاء رجل ضرير البصر إلى النبي ﷺ فقال الضرير: ادعُ الله أن يُعافيني، فقال ﷺ: "إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خيرٌ لك»، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيُحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب الرخصة في المطر والعلة أن يصلي في رحله، حديث رقم (١٣٤) والنسائي في «سننه» في كتاب الصلاة باب إمامة الأعمى ٢/ ٨٠ برقم ٧٨٨.
(٢) وقال ابن حجر في «فتح الباري» ١٠/ ١١٥: (هذه المرأة اسمها أم زفر.
(٣) أخرجه البخاري ي «صحيحه» كتاب المرضى «باب فضل من يصرع من الريح» ٤/ ٩ برقم ٢٢١٨، ومسلم في «صحيحه» كتاب البر والصلة والآداب ٤/ ١٩٩٤ برقم (٢٥٧٦).

إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيَّ»[1].

فقد تجلت رحمته ﷺ بهذا الضرير الضعيف وعذره وعفا عن تصرفه، فلم يأمر بأذيته أو تعنيفه، على الرغم من حساسية الموقف ورهبته؛ فالجيش الإسلامي في طريقه للجهاد ومواجهة المشركين، والوضع متأزم، ومع ذلك ضرب لنا الرسول ﷺ أسمى آيات فن التعامل والرحمة بذوي الاحتياجات الخاصة، فأبى ﷺ إلا العفو والصفح عنه، فليس من الشجاعة والمروءة وشيم الأخلاق الاعتداء على الضعفاء والمحتاجين والنيل منهم مهما بلغت سوء تصرفاتهم، فقد سن ﷺ معهم سنة الرفق وحسن التعامل والدعاء لهم بالشفاء والعفو والعافية؛ فهو ﷺ يضرب لنا أسمى آيات التواضع وحسن التعامل والرفق بذوي الاحتياجات الخاصة.

الجانب الاجتماعي:

بلغ من رؤية الرسول ﷺ الثاقبة حرصه على تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة ودمجهم في الحياة الاجتماعية، فلم يفرق ﷺ بين المسلم السليم جسديًا ونفسيًا وبين ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد كان اهتمامه بالإنسان ذاته، وما لديه من صفات ومواهب ومميزات وقدرات خاصة، فرحمته ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة جعلته ينظر إليهم نظرة إيجابية مهتمًا بالجانب الإيجابي فيهم متيحًا الفرصة أمامهم للحياة الطبيعية، ومنحهم الفرص وساواهم في الحقوق وحرص على النظر للإنسان على أساس عمله وقلبه وليس على أساس شكله ومظهره، واهتم بكف الأذى المعنوي من الكلمة والنظرة والإشارة، ومنع الاحتقار والاستهزاء بهم[2].

(١) أخرجه الترمذي في باب الدعوات (باب ١١٩) ٤٦١/٥ برقم ٣٥٧٨، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي»، والنسائي في «الكبرى» كتاب عمل اليوم والليلة باب ذكر حديث عثمان بن حنيف ٤١٧/١ برقم ٣٥٧٨، وذكره الألباني في «صحيح وضعيف»، الترمذي برقم ٣٥٧٨ وقال: صحيح.

(٢) مهدي محمد القصاص، التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة، دراسة ميدانية، المؤتمر العربي الثاني عن الإعاقة الذهنية بين التجنب والرعاية، جامعة أسيوط ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

وبلغ من حرصه على دمجهم في الحياة الاجتماعية أن اهتم ﷺ بتأهيلهم وتقوية قدراتهم الجسدية والنفسية حتى يتغلبوا على ضعفهم وعجزهم، كما حرص على تعزيز الثقة بأنفسهم وقدراتهم بتكليفهم ببعض الأعمال التي تتناسب مع أوضاعهم وقدراتهم الجسدية مثل: حراسة النساء والغنائم أو نقل أخبار الكفار، فلم يتجاهلهم النبي ﷺ في سيرته العطرة المليئة بالمواقف والأحداث التي وضحت رحمته وحبه لتلك الفئات الضعيفة التي تحتاج التكافل والمساعدة من كل فئات المجتمع المختلفة نتيجة لعجزهم وفقرهم وعدم قدرتهم على الأعمال الشاقة التي يقوم بها الأصحاء.

وقد تولى عدد منهم مناصب مهمة في الدولة الإسلامية اعترافًا بقدراتهم ومواهبهم منهم عبدالله ابن أم مكتوم الذي أوكل له الرسول ﷺ عملًا مهمًا وخطيرًا يتطلب قدرات خاصة وجدها ﷺ فيه، وهي استخلافه على المدينة أثناء غيابه ثلاث عشرة مرة[1].

ليس هذا فحسب بل أوكل ﷺ مهمة في غاية الزهمية أخرى لصحابي من ذوي الاحتياجات الخاصة وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه (ت ١٨هـ/ ٦٣٩م) عندما أرسله عاملًا على اليمن بين لأهلها مدى ما يتمتع به رضي الله عنه من مهارات وقدرات حتى إن الرسول ﷺ وصفه يقول: «إني قد بعثت عليكم من خير أهلي»[2]. فلم يمنعه رضي الله عنه ما يعانيه من عرج من تبوء مكانة مهمة في إدارة الدولة الإسلامية والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية في الدولة[3].

كما حرص ﷺ على كفالة ذوي الاحتياجات الخاصة لأنهم من الضعفاء

(١) محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ج١، ص٥٣٨.
(٢) الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٢٣.
(٣) رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بين الشرائع السماوية، مركز خدمات المنظمات غير الحكومية، ص١١-١٢.

الذين يستحقون الكفالة والمودة، فقد قال ﷺ: "ابغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»[١].

ورعايته ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة من باب التراحم والرعاية لهم، فقد قال ﷺ للأقرع بن حابس (ت: ٣١هـ/ ٦٥٢م): "من لا يرحم لا يُرحم، الراحمون يرحمهم الرحمن: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٢].

كما حرص ﷺ على مراعاة ظروف ذوي الاحتياجات الخاصة في العبادات وخاصة الصلاة فيطلب من الأئمة والصحابة التخفيف عليهم في الصلاة، وضح ذلك من قوله ﷺ: "من صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة»[٣].

كما وضح أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة! فقال: «يا أم فلان! انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك» فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها[٤].

وهذا يدل على تواضع الرسول ﷺ وحبه وحلمه وصبره على قضاء حوائج الناس عامة وذوي الاحتياجات الخاصة خاصة، كما يدل على

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» كتاب الجهاد باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين ٢٠٦/٤ برقم ١٧٠٢، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وابن حبان في «صحيحه» كتاب الخروج وكيفية الجهاد، باب ذكر استحباب الانتصار بضعفاء المسلمين عند قيام الحرب على ساق ٨٥/١١ برقم ٤٧٦٧.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الأدب باب الرحمة ٢٨٥/٤ برقم ٤٩٤١، والترمذي في «سننه» كتاب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين ٣٢٣/٤ برقم ١٩٢٤، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأحمد في «مسنده» ١٦٠/٢.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الأدب باب تخفيف الإمام في الركوع ١٤٢/١ برقم ٧٠٢ و٧٠٤، ومسلم في «صحيحه» في كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ٣٤٠/١ برقم ١٨٢.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل باب قُرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به ١٨١٢/٤ برقم ٧٦.

قربه ﷺ من الناس وتلمس احتياجاتهم حتى يحصلوا على حقوقهم التي كفلها لهم الإسلام. وهذا فن تعامل من الرسول ﷺ يرشدنا فيه إلى الاقتداء بهديه والعمل بعلمه حتى نكفل لجميع أفراد المجتمع حقوقهم ومصالحهم، ورسالة منه ﷺ للمسؤولين عن مصالح الناس بالعمل على تلمس حاجاتهم والقيام بها دون أن يطالبوا بها، لأنه ﷺ حاجة كفلها لهم الإسلام وعلى ولاة الأمر رعايتها وخاصة لذوي الاحتياجات الخاصة.

وهذا مما يرفع الروح المعنوية لدى هذه الفئة، ويشعرهم بعظمة الإسلام، وكفالته لحقوقهم في الدنيا والآخرة.

الجانب النفسي والتربوي:

اهتم الرسول ﷺ بالجانب النفسي والتربوي لذوي الاحتياجات الخاصة، وعمل على رعايتهم نفسيًا وتربويًا؛ فخفف عنهم بعض التكاليف، فقد روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالسًا في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها عليَّ، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلًا أعمى، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سُري عنه، فأنزل الله ﷻ[1]: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

كما بلغ من رحمة الرسول ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة أن جعل المجتمع برمته هو الذي يحتاج لهم، ليبين مدى أهمية وجودهم في المجتمع، وحاجة المجتمع لهم تبين ذلك من قوله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»[2].

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، برقم (٤٥٩٢).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضل الجهاد والسير باب من استعان بالضعفاء والصالحين

فهو بهذا الحديث يؤكد ﷺ أن هؤلاء الضعفاء هم سبب استمرار النصر والرزق في المجتمع، وهم سر قوته ومنعته وعزته، ومن ثم فإن رعايتهم وحسن معاملتهم والاهتمام بهم وكفالة حقهم غاية اجتماعية يجند المجتمع كله لتحقيقها والعناية بها حتى يكفل الله لهم النصر والرزق.

وهذا الهدي النبوي من رسول الرحمة ﷺ يؤدي إلى رفع معنويات ذوي الاحتياجات الخاصة ويشعرهم بمكانتهم وأهميتهم ودورهم في المجتمع، وأنه كلما زادت العناية بهم ودمجوا في المجتمع الذي يعيشون فيه علا المجتمع ورقي في تعامله، واستقرت أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كما حرص ﷺ على علاج ذوي الاحتياجات الخاصة نفسيًا فأشركهم مع الأسوياء في قوله: ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة[1].

ومن هذا يبين الرسول ﷺ أن ما أصاب ذوي الاحتياجات الخاصة من ضر وصبروا عليها كان خيرًا لهم، فهو بذلك يبشرهم باستحقاقهم جزاء صبرهم على ما أصابهم من ضر، كما يبشرهم بقوله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكانت خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكانت خيرًا له»[2].

وهذا الوصف النبوي لما يتحلى به المؤمن والمعافى من مقتبس من نور الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

فليس هذا فحسب، بل بشرهم بما سينالونه في الآخرة من جزاء على

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ٤/١٩٩١ برقم ٢٥٧٢.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير ٤/٢٢٥٩ برقم ٢٩٩٩.

ما أصابهم في الدنيا من ضرر، وذلك في قوله ﷺ عما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "إن الله عز وجل أوحى إليَّ أنه من سلك مسلكًا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة، ومن سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة"[1].

وفي هذه الأحاديث بشارة من الرسول ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة أنه من صبر على ما أصابه الله راضيًا محتسبًا كان جزاؤه الجنة.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٧/ ٥٠٠ برقم ٥٣٦٧، وصححه الألباني في «المشكاة» ١/ ٨٣ برقم ٢٥٥.

الخاتمة

هكذا كان المنهج النبوي في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، في وقت لم تعرف فيه الشعوب ولا الأنظمة حقًا لهذه الفئة، فقرر -الشرع الإسلامي- الرعاية الكاملة والشاملة لذوي الاحتياجات الخاصة، وجعلهم في سلم أولويات المجتمع الإسلامي تكريم أصحاب البلاء منهم، لاسيما من كانت له موهبة أو حرفة نافعة أو تجربة ناجحة، وحث على عيادتهم وزيارتهم، ورغب في الدعاء لهم، وحرّم السخرية منهم، ورفع العزلة والمقاطعة عنهم، ويسر عليهم في الأحكام، ورفع عنهم الحرج، وشرع العفو عن المخطئ والجاهل.

وقد اتضح لنا مما سبق أن الرسول ﷺ أعطى لذوي الاحتياجات الخاصة الثقة في أنفسهم لكي يستطيعوا أن ينخرطوا في المجتمع ويعيشوا فيه بكل أمن وأمان محتسبين الأجر والثواب عند الله.

تلك الحقوق التي أعطاها رسول الإنسانية جمعاء صورة صادقة للتعاليم الإسلامية، والمثل الحي لكل ما جاء به القرآن الكريم، وكانت تعاملات الرسول الكريم معهم صورة باهرة لهذه المبادئ السامية؛ فقد مُيزت شخصية الرسول ﷺ بالكثير من الجوانب الأخلاقية المضيئة

والهادية لكل إنسان يريد الميزة لنفسه، والترقي لسلوكه، والتعمق لفكره، وحسن الخُلق لمعاملته مع الناس.

ومن خلال تلك التعاليم السامية وجب على كل الدول وأبناء المجتمع إعطاء ذوي الاحتياجات الخاصة كل رعاية وعطف ورحمة؛ تحقيقًا لقوله ﷺ: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[1].

كما نخلص مما سبق إلى أن المبادئ الإسلامية في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، كما رسمتها إجمالًا وتفصيلًا السنة النبوية الشريفة، تُعد سبقًا حضاريًا مميزًا غير مسبوق، وتضاهي أرقى النظم الاجتماعية المعاصرة التي ينعم الإنسان المعاصر بامتيازاتها، بل وتتفوق عليها من جهة كونها مبادئ واقعية قابلة للتجسيد والتكيف حسب مقتضيات الزمان والمكان، إلى جانب اعتبارها ذات خاصية روحية إيمانية تصل ذوي الاحتياجات الخاصة بالبعد الأخروي، وبالخالق ﷻ مما يصرف مشاعرهم إلى وجهة إيجابية، ويخفف من وطأة الإصابة عليهم.

وقد أوصت الدراسة بعدة توصيات من أهمها:

١. مراعاة الحقوق الأدبية والنفسية للمعاقين في المعاملة والعدل والابتعاد عن كل صور الإهانة أو التحقير.

٢. دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة العامة، والعمل على تأهيلهم، وإيجاد فرص العمل بما يتناسب وقدراتهم الجسمية والعقلية.

٣. العمل على تقديم الخدمات التعليمية والتدريبية لهم من خلال التنسيق مع الجهات المختصة الحكومية أو غيرها.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٨/ ١٠ برقم (٦٠١١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٦).

٤. تقديم الحماية اللازمة والكافية لهم من خلال سن القوانين والحفاظ على المكتسبات والمطالبة بالحقوق والضرب على أيدي المسيئين لهم أو المعتدين عليهم.

٥. ضرورة قيام دراسات وأبحاث تفصيلية عن دور الإسلام الحنيف ورؤيته للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال نصوص القرآن وتتبع سيرة الرسول ﷺ، وتأثير ذلك على المجتمعات المعاصرة في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والخلقية، والاقتداء بسنة الرسول ﷺ في تعامله مع هذه الفئة.

٦. تربية الأجيال القادمة من شباب أمتنا على احترام الإنسان، لاسيما الضعيف من ذوي الاحتياجات الخاصة، وإيجاد جيل واعٍ ومدرك لاحترام النفس البشرية، ويستفيد من هذا المخزون الحضاري والثقافي رفيع المستوى التي تركه لنا خير البشر.

٧. التوصية بضرورة إدراج مناهج متخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة لتدرس في المدارس والكليات؛ فتزيد من تعميق أواصر المجتمع ونسيجه المتكامل، وتحقيق الأهداف الإسلامية السامية النابعة من صميم ديننا الإسلامي العظيم.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر:

الباجي، سليمان بن خلف بن سعد (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)

١. التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق أبو لبابة حسين، ط١، دار اللواء للنشر والتوزيع، (الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

البخاري، أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

٢. الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، (بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٣. صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، (بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)

٤. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، (مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٥. شعب الإيمان، تحقيق محمد سعيد بسيوني زغلول، ط١، مكتبة دار الكتب العلمية، (بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

٦. سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، بلا ت).

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، (بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٨. تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، (بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)
٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، (مصر، بلا ت).
ابن سيد الناس، محمد بن يعمري (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)
١٠. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (تعليق إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)
١١. الموافقات في أصول الأحكام (مطبعة المدني، القاهرة).
الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م)
١٢. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)
١٣. سبل الإسلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق محمد عبدالعزيز، ط٤، دار إحياء التراث العربي (بيروت ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)
الطحاوي، أبو جعفر (ت ١٣٢١هـ/ ٩٩٣م)
١٤. مشكل الآثار (تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)
١٥. الجامع لأحكام القرآن (تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).
١٦. تفسير القرطبي (دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤٣م)
١٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، ط١،

مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م).

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

١٨. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، بلا ت).

النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)

١٩. السنن الكبرى، تحقيق عبدالغفار سليمان البندري، وسيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)

٢٠. معرفة الصحابة (دار الوطن للنشر، الرياض ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

ابن هشام، محمد بن عبدالملك (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)

٢١. السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، ط١، دار الجيل (بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

الألباني، محمد ناصر (ب ت)

٢٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تحقيق زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي (بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

٢٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتبة المعارف (الرياض، ١٩٩٢م).

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة:

الجندي، أنور

٢٤. تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

الخطيب، جمال

٢٥. الإعاقة الحركية والشلل الدماغي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

زكي، عبدالرحمن
٢٦. الحرب عند العرب (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م).
زناتي، أنور محمود
٢٧. الطريق إلى صدام الحضارات (مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت).
شفشق، محمود عبدالرزاق
٢٨. تاريخ التربية، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية (دار النهضة العربية، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).
الصاوي، محمد وجيه
٢٩. دراسات في الفكر التربوي (مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
عبدالعزيز، حسين قاسم
٣٠. موجز تاريخ العرب والإسلام (مكتبة النهضة، بغداد ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
عفيفي، محمد عبدالهادي
٣١. في أصول التربية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
علي، محمد كرد
٣٢. الإسلام والحضارة العربية (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م).
علي، سعيد إسماعيل
٣٣. اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي (دار الفكر العربي، عين شمس، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
القذافي، رمضان محمد
٣٤. سيكولوجية الإعاقة (الجامعة المفتوحة، الجمهورية العربية الليبية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

القصاص، مهدي محمد

٣٥. التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة: دراسة ميدانية، المؤتمر العربي الثاني عن الإعاقة الذهنية بين التجنب والرعاية، جامعة أسيوط، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

العلي، صالح أحمد

٣٦. محاضرات في تاريخ العرب، مؤسسة دار الكتب (الموصل ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

العواجي، محمد بن محمد

٣٧. مرويات الإمام الزهري في المغازي (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

الناصري، سيد

٣٨. الحرب والمجتمع القديم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

رابعًا: الدوريات

عبدون، هاشم فارس

٣٩. رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بين الشريعة والقانون وأثر ذلك في الجانب التربوي (مجلة العلوم التربوية، مصر ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

رابعًا: الرسائل الجامعية

العوضي، سعود بن عبدالعزيز

٤٠. حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة في الفقه الإسلامي (أطروحة ماجستير، جامعة طنطا، كلية الحقوق، قسم الشريعة الإسلامية ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م).